الفرار من «جرب» الإخوان

لن يكون المستشار فؤاد جاد الله آخر الذين يقفزون من مركب الإخوان، ولا المستشار أحمد مكى، ولا الدكتور عصام شرف، الذى تحمس الإخوان لتعيينه كأول رئيس وزراء لمصر بعد الثورة.

كل هؤلاء قفزوا من مركب الإخوان الغارق فى أسبوع واحد، برغم أنهم كانوا الأقرب بامتياز للتعاون مع الإخوان، وإحسان الظن بدور السيد مرسى، وكان عليهم أن ينتظروا عشرة شهور كاملة ليدركوا الحقيقة المفزعة، وينضموا إلى طابور طويل من الفارين من جرب الإخوان السياسى، وعلى طريقة «فرار السليم من الأجرب» التى حدثنا عنها شعراء الأقدمين.

وقد نعتب على هؤلاء الذين تأخروا فى النجاة بجلودهم، فلهم آذان يسمعون بها، وقلوب يفقهون بها، و تجارب يتعلمون منها، ولم يكن السيد جاد الله بحاجة للانتظار كل هذا الوقت، ولا المستشار أحمد مكى، فقد رأى مكى بعينيه مصير أخيه المستشار محمود مكى، والذى عينه مرسى فى البداية نائبا للرئيس، ثم اتضح سريعا لمحمود مكى أنهم جاؤوا به كشاهد صامت لا يشاهد شيئا، ولا يعلم به، ثم تلصق به التهم، وتأكل من تاريخه، وتخصم من رصيده، وهو ما بدا أن محمود مكى انتبه إليه مبكرا، وإن لم يتصرف بطريقة ملائمة، فقد صدر الإعلان غير الدستورى المنكود فى ٢١ نوفمبر ٢٠١٢، ودون أن يعلم به مكى الذى كان وقتها نائبا للرئيس، وبرغم تعرضه للخديعة والتجاهل، فقد شارك السيد محمود مكى فى ترقيع الجريمة، وفى الادعاء بإلغاء الإعلان مع بقاء آثاره، ثم قيل إنهم قرروا إرساله سفيرًا فى دولة الفاتيكان، وفى رشوة سياسية ظاهرة بدت كمكافأة إنهاء خدمة، وظل موقف الرجل غامضا، فلا هو ذهب إلى الفاتيكان، ولا هو أعلن

رفضه للرشوة التى تلوث تاريخه النقى، وكانت المفارقة أن أخاه الأكبر أحمد مكى تأخر عنه فى إبداء موقف رافض لما يجرى، وبدا كأنه إخوانى أكثر من الإخوان، وأساء لسمعته كل يوم بتصريح أسوأ من سابقه، وعلى مدى عشرة شهور كاملة من العيش فى الهوان، والحرص الزائد على البقاء فى منصبه وزيرًا للعدل، لكن أحمد مكى - الصاخب - اختار لحظة بدت مناسبة للتراجع عن غيه، وأعلن استقالته الجهيرة رفضا لتلويث القضاء بأخونته، وهو ما لم نسمعه من محمود مكى الذى أهين أكثر من أحمد مكى، وإن كانت الفرصة لم تفت نهائيا بعد، فنحن نحب محمود مكى، ولا نرضى له هوانا أكثر مما لحق به فى معية مرسى، ولعله يتعظ من خطوة المستشار الشاب فؤاد جاد الله، والذى سارع بإطلاق لحيته بعد الثورة طمعا فى نيل عطف الإخوان، وهو ما تحقق له باختياره مستشارا قانونيا لمرسى، وكانت فضيحته بجلاجل، فقد أهدر نص وروح القانون الذى تعلمه، وتورط فى انتهاكات للعقل والضمير كان أشهرها صياغة الإعلان المنكود، وفى تصريحات بدت غاية فى الرداءة والاستفزاز والجهالة القانونية، لكنه أفاق على وقع مطارق معركة القضاة، وكتب استقالة تاريخية مطولة، وهكذا فعل عصام شرف، وأمثال هؤلاء يستحقون اللوم على ما كان، لكن أفاقاتهم المتأخرة قد تغفر لهم بعض ما تقدم من ذنب فى حق الرب والشعب، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وقد لا تتساوى الإفاقة المتأخرة مع الإفاقة المبكرة نسبيا، وعلى النحو الذى فعله العدد الغالب من الذين عينوا فى مناصب مساعدى مرسى وهيئة مستشاريه، ومن مقام سمير مرقص وسيف الدين عبدالفتاح وأيمن الصياد ومحمد عصمت سيف الدولة وآخرين، ثم لحق بهم الذين أنجاهم الله، كالسيد خالد علم الدين القيادى بحزب النور السلفى، أو الذين أخزاهم الله، كالسيد عصام العريان «حبيب اليهود»، والذى عوضه الإخوان عن منصب مستشار مرسى بتعيينه عضوا فى مجلس الشورى غير الشرعى، وذهبوا بياسر على

المتحدث باسم مرسى إلى رئاسة مركز معلومات مجلس الوزراء، وحتى يجرب حظه فى تزوير استطلاعات الرأى العام، فى حين لم يبق حول مرسى غير رجال ونساء خيرت الشاطر، ومن عينة عصام الحداد وأيمن على وأسعد الشيخة وأحمد عبدالعاطى والأخ الطهطاوى رئيس الديوان، وهكذا صارت مؤسسة الرئاسة - إياها - بيتا للغربان، ومجرد فرع تابع لمكتب إرشاد حزب الإخوان، وصار محمد مرسى - بالمعنى الحرفى - مجرد مندوب مبيعات لخيرت الشاطر فى قصر الرئاسة. إنه الانكشاف الكامل لدور مرسى، والذى زعم أنه رئيس لكل المصريين، فلم يعد رئيسا - حتى - لحزب الإخوان، فقد فرّ منه المتأخونون كافة، وانزاحت أوراق التوت عن عورة الإخوان، بعد أن حاولوا تلفيق غطاء وطنى ما لمندوبهم المعتمد فى قصر الرئاسة، ولم يعد عندهم من فرصة سوى باللعب على المكشوف، واصطناع خدم جدد من أحزاب «الوسط» و«الحضارة» و«الجماعة الإسلامية»، وهى أحزاب صغيرة بلا قيمة شعبية تذكر، وأشبه بطحالب طافية على سطح بحيرة الإخوان الآسنة، ويؤلفون تحالفات وهمية من نوع «الهيئة الشرعية للدفاع عن الحقوق والإصلاح» أو «جبهة الضمير»، وكلها مجرد أقنعة إخوانية فى حفلة تنكرية، بعضها - كحزب الوسط - كانوا ممن يلعنون الإخوان ثلاث مرات فى اليوم قبل الثورة، ثم تحولوا إلى خدم جاهزين لخيانة الثورة، وبعضها - كحزب الحضارة - أتى غالب مؤسسيه من جمعية «شباب رجال الأعمال» التى كانت تسند جمال مبارك فيما مضى، وبعضها - كحزب الجماعة الإسلامية - ليس له من فخر سوى التاريخ الإرهابى القريب، ثم إعلان التوبة - فى كتب المراجعات الشهيرة - على أيدى جهاز أمن دولة مبارك، وأضف - من فضلك - أسماء مكلفة بأدوار الحماقة، ومن عينة حازم صلاح أبوإسماعيل وعاصم عبدالماجد وصفوت حجازى، والذين يكلفون بأدوار الهجوم على القضاء والشرطة والجيش، وحتى يتاح للإخوان أن يواصلوا اللعبة الأخرى المكشوفة، وهى التظاهر بأن تصريحات هؤلاء لا تخصهم، ثم يتنصلون منها على سبيل الخداع للجهات

المعنية، مع أن عاصم عبدالماجد فى وضع العضو المنتسب لجماعة الإخوان، بينما أبوإسماعيل وحجازى من العاملين عليها وفيها، ويتصور الإخوان أن هؤلاء قد يوفرون للجماعة غطاء «إسلاميا» مفتعلا، خاصة بعد فرار حزب النور من صحبة الإخوان، وتحول شيوخ الدعوة السلفية إلى الهجوم المقذع على الإخوان، وفضح زيف انتساب الإخوان المدعى للإسلام والشريعة، فوق أن حزب «مصر القوية» ـ ذا الاتجاه الإسلامى ـ زاد فى نبرة معارضته لمرسى وحكم الإخوان، وبصورة جعلت رئيسه عبدالمنعم أبوالفتوح فى موقع المعارضة الأكثر جذرية حتى من قيادات «جبهة الإنقاذ» نفسها.

وباختصار، أصبح الابتعاد عن الإخوان غنيمة، والاقتراب منهم مصيبة وكارثة، ولم يعد أحد يثق بأن عمر الإخوان فى الحكم قد يطول، فالأرض تميد من تحت أقدامهم، وغباوتهم الخلقية لا تحفظ لهم صديقا ولا حليفا يعتد به، وشعبيتهم تنحدر بسرعة، وسيطرتهم على تنظيمات الطبقة الوسطى تتآكل فى اطراد، وعلى نحو ما جرى فى انتخابات طلبة الجامعات، وما تواتر مؤخرا من انتخابات فى النقابات المهنية، وقد كانت سيطرة الإخوان على تنظيمات الطبقة الوسطى عنوانا على صعود بدأ قبل أربعين سنة، بينما بدا صعودهم إلى سدة الرئاسة كأنه العشاء الأخير، وهو ما يفسر تصرفاتهم الحمقاء بدواعى الغريزة المفزوعة مما قد يأتى، فما طار طير وارتفع، إلا كما طار وقع، وطائر الإخوان تنكسر أجنحته الآن، ويهوى إلى قاع الجب، ودون أمل فى أن يلتفت إليه العابرون الفارون من «جرب» الإخوان.

"صوت الأمة" فى ٢٩ من إبريل ٢٠١٣